نظام الإستخلاف ودور الانسان في التشريع والحاكمية والعمران

م.د. زينب علاء الدين عبد الله

ديوان الوقف السني- كلية الامام الاعظم (رحمه الله) الجامعة

قسم الدعوة والخطابة/ بغداد

The succession system and the role of man In Legislation, Governance and Urbanism

Dr. Zainab Aladdin Abdullah

dr.zainabalaa84@gmail.com

ملخص البحث

إن لمفهوم الاستخلاف الكوني للإنسان في المنظومة الفكرية الإسلامية دور حيوي في استنهاض المشروع النهضوي العربي والإسلامي فقد أعطى القرآن الكريم للإنسان دورا هاما في تسخير ما في السموات والأرض كما عني الإسلام بعمارة الأرض ورعاية الكون عناية خاصة، فالله سبحانه وتعالى خلق الكون وهيأ فيه الظروف المثلى للحياة السعيدة المستقرة، ثم استخلف فيه الإنسان ليقوم بإعماره على الوجه الأكمل, و لقد عرض القرآن الكريم مسألة الاستخلاف على أسس واضحة أرادها أن تكون نواة لتصور إسلامي صحيح عن الله والكون والحياة والإنسان ، حيث يقول ربنا جل جلاله: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ [البقرة: ٣٠], من هنا نفهم أن مبدأ إقامة مجتمع على الأرض قد تقرر من قبل الله – سبحانه – وقد أنبأ به الملائكة ولم يكن عقاباً إلهياً، بل تجربة ابتلائية يتعرض فيها آدم للغواية فيغوى، ثم يؤرقه ضميره وتحاسبه النفس اللوامة، فيندم ويتوب, و يمضي ليمارس استخلافه في الأرض، فلا تكون حياته من بدء خلقه إلى نهايتها إلا معركة متصلة بين الخير والشر، يتحمل فيها تبعة عمله ومسؤولية اختياره.

الكلمات المفتاحية استخلاف, العمارة, حاكمية, تسخير, الأرض

Abstract

The concept of the universal succession of man in the Islamic intellectual system has a vital role in reviving the Arab and Islamic renaissance project. The Holy Qur'an gave man an important role in harnessing what is in the heavens and the earth, just as Islam concerned itself with building the earth and taking care of the universe with special care. God Almighty created the universe and prepared in it the optimal conditions for life The Holy Qur'an presented the issue of succession on clear grounds that it wanted to be the nucleus of a correct Islamic conception about God, the universe, life and man, as our Lord Almighty says: The earth is a caliph ([Al-Baqarah: 30], from here we understand that the principle of establishing a society on earth was decided by God - Glory be to Him - and was foretold by the angels, and it was not a divine punishment, but rather a affliction experience in which Adam is subjected to temptation and is seduced, then his conscience haunts him and the blameworthy soul takes him to account. , he regrets and repents, and proceeds to exercise his succession on earth, so his life from the beginning of his creation to its end is nothing but a continuous battle between good and evil, in which he bears the responsibility of his work and the responsibility of his choice.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له, وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، بّلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده ، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد..

إن استخلاف الإنسان على هذه الأرض مهمة صعبة وأمانة ثقيلة تصدى الإنسان لها وحده للنهوض, وعلى طريق النهوض بأعباء هذا الاستخلاف ولتمكين الإنسان من أداء مهامه بالشكل الذي يرضي الله تعالى لا بد من ادراك وفهم المعنى الحقيقي للاستخلاف , وبما أنه من أعظم نعم الله وإكرامه علينا أن استخلفنا في الأرض وجعلنا من أشرف المخلوقات فهل يفهم من هذا التكريم تشريفا لنا فقط من دون تكليف؟ أم لهذا الاستخلاف شروطا لابد من القيام بها ومقاصد وغايات لابد أن تتحقق من خلال أداء الإنسان لهذه الأمانة, الأمر الذي سنتطرق إليه من خلال هذا البحث

الذي قسمته على مبحثين:

تناولت في المبحث الأول منه مفهوم الاستخلاف فجاء على أربعة مطالب: الأول تعريف الاستخلاف في اللغة والاصطلاح والثاني أنواع الاستخلاف والثالث أهمية الاستخلاف والرابع قيود الاستخلاف.

أما المبحث الثاني تناولت فيه مفهوم العمران وعناية الاسلام بعمارة الأرض وفيه ثلاثة مطالب: الأول تعريف العمران في اللغة والاصطلاح ومفهومه في القرآن الكريم والمطلب الثاني مفهوم التسخير والمطلب الثالث عناية الإسلام بعمارة الأرض.

إنَّ الآيات القرآنية الكريمة تؤكِّد على الترابط الوثيق بين الإيمان والعمل وتأثيره في عمارة الأرض، وأيّ عمل خارج نطاق الإيمان سيكون مصيره الزوال، فالعمران وفق منظورها إن لم يكن قائماً على أساس الإيمان فلا قيمة له في قانون البقاء, فعمارة الأرض ومكونات الفعل العُمراني تتأسس في ثلاثة أمور: علاقة الإنسان بربه... وعلاقة الإنسان بالإنسان، ومن يقوم معه بمهمة الاستعمار, وعلاقة الإنسان بالأرض، إذ الأرض أصل الحياة الطبيعية للبشر، ولا قوام للناس إلا بها وبمن عليها من النسل, كما أن العمران الحضاري إذا قام على الحقِّ وعلى التَّقْوى والصَّلاح يباركه الله، ويَحيا به أهلُه حياة طيِّبة، وإذا قام على الشِّرْك والظلم والطغيان والاستِكْبار في الأرض، دمَّره الله كعُمران أقوامِ هود وصالح وفرعون وأمثالهم.

المبحث الأول: مفهوم الاستخلاف

المطلب الأول: تعريف الاستخلاف لغة واصطلاحا

الاستخلاف في اللغة: استخلف فلانا من فلان: جعله مكانه, وخلف فلان فلانا إذا كان خليفته, يقال: خلفه في قومه خلافة, ويقال: خلفت فلانا أخلفه تخليفا واستخلفته أنا جعلته خليفتي, واستخلفه: جعله خليفة, والخليفة: الذي يستخلف ممن قبله, والخَالِفَة: الأُمَّة الباقية بعد الأُمَّة السالفة والخليفة: السلطان الأعظم كالخليف (وجمعه) خلائف وخلفاء، وخَلَفَه خلافَةً: كان خليفته، وبقيَ بعده[١]

الاستخلاف في الإصطلاح: عبادة طوعيَّة لله بالتزام هديه وشرائعه ينشأ عنها ضبط للسلوك الإنساني في علاقته مع الله وعلاقته بالكون والمخلوقات؛ بحيث تسير الحياة الإنسانية ضمن إطار الصلاح[٢].

وعرف ايضا: النيابة والقوامة في حدود المأذون به والمخول فيه[٣], وهذا المعنى يتطابق مع المفهوم اللغوي.

وهو نظام أقره الله تعالى لعباده في الحدود التي سخرها لهم وما سلطهم عليه من ملكه, ومن خلال هذا النظام يعبر الانسان عن دوره في اقامة الخلافة وتحقيق العبودية لله تعالى على هذه الارض وقد جاء هذا المعنى واضحا في العديد من النصوص القرآنية التي بلغت عشرين نصا أو يزيد, قال تعالى: "هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا"[٤] وقوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً"[٥] وقوله تعالى: " وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ"[٦] الى غير ذلك من النصوص التي تدل أن مركز الإنسان في الأرض بمثابة النائب والقائم و الخليفة عن الله في تنفيذ أوامره بين الناس.

المطلب الثاني: أنواع الإستخلاف

استخلاف البشر في الأرض نوعان[٧]: استخلاف عام، واستخلاف خاص.

فالاستخلاف العام: هو استخلاف البشر في الأرض باعتبارهم مستعمرين فيها ومسلطين عليها قال تعالى: {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}[٨] ، وقد بدأ هذا الاستخلاف بآدم – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – ومن بعده كل ذريته فهم جميعًا مستعمرون في الأرض، استعمرهم الله – جَلَّ شَأْنُهُ – فيها، وَسَخَّرَ لهم وسلطهم عليها بإذنه قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً}[٩].

والاستخلاف الخاص: هو الاستخلاف في الحكم، وهو نوعان:

استخلاف الدول واستخلاف الأفراد، والاستخلاف في الحكم هو بنوعيه مِنَّةٌ أخرى يمن الله بها على من يشاء من عباده أُمَمًا وَأَفْرَادًا بعد أن مَنَّ عليهم جميعًا بنعمة الاستخلاف في الأرض قال تعالى: {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ}[١٠]، وقال تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}[١١]

واستخلاف الدول معناه الأول تحرير الأمة واستقلالها بحكم نفسها وجعلها دولة لها من السلطان ما يحمي مصالح الأمة وَيُعْلِي كلمتها، ومعناه الثاني اتساع سلطان الدولة حتى يشمل فوق أبناء الأمة أممًا وشعوبًا أخرى.

واستخلاف الدول إذا كان بإذن الله وبأمره مِنَّةً يَمُنُّ بها على الأمم، إلاَّ أن للاستخلاف مسبباته التي تباشرها الأمم والشعوب فتؤهلهم للاستخلاف، وتمكن لهم في الأرض، وتتم بذلك سُنَّةُ اللهِ في خلقه ولن تجد لسنته تحويلاً. فلا يمكن أن يجيء الاستخلاف اعتباطًا وبلا عمل، وإنما يجيء

نتيجة العمل الشاق والجهد المستمر، ولقد وعد الله – جَلَّ شَأْنُهُ – الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالاستخلاف في الأرض، فلم يجعل الإيمان وحده هو الذي يرشح المؤمنين للاستخلاف، وإنما وعد المؤمنين بالاستخلاف إذا عملوا الصالحات، والمقصود بالصالحات كل ما يصلح شأنهم في الدنيا من الإعداد والاستعداد والتفوق، وما يصلح شأنهم في الآخرة من الطاعة واجتناب المعاصي, قال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ}(١٢).

واستخلاف الأفراد هو الاستخلاف في الرئاسة وَقَدْ يُسَمَّى المُسْتَخْلَفُ خَلِيفَةً كما سمي داوود – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – قال تعالى: {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ}(١٣).

وَقَدْ يُسَمَّى المُسْتَخْلَفُ إِمَامًا كما سمي ابراهيم – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – وبعض رؤساء بني إسرائيل: قال تعالى: " {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}(١٤), وقال تعالى: {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ}(١٥).

وَقَدْ يُسَمَّى المُسْتَخْلَفُ مَلِكًا قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ}(١٦) ، وقال تعالى: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا}(١٧).

المطلب الثالث: أهمية الاستخلاف

يشتمل استخلاف الإنسان في الأرض –كما ذكر بعض الباحثين– على علاقتين هما وجهان لحقيقة واحدة، وهي الخلافة أو الاستخلاف: أمَّا العلاقة الأولى فهي (بين الإنسان وربه. . . تتمثل في الخضوع والطاعة والاستجابة واستسلام الخليفة لمن استخلفه، أو هكذا يجب أن تكون، وبكلمة واحدة نعبر بها عن هذه العلاقة نقول: إنها عبودية، أمَّا العلاقة الثانية من علاقتي الخلافة، فإنَّها تتمثل في سيطرة الإنسان الخليفة وهيمنته واستغلاله وحاكميته وتسخيره لكل ما استخلفه الله عليه، أي: لكل ما في الأرض وما عليها، وما في باطنها من أشياء وأحياء، وبكلمة واحدة نقول: إنّ الإنسان سيد عليها، أي: أنّ هذه العلاقة تسمى سيادة، فالخلافة: عبوديَّة وسيادة) (١٨).

كما أنَّ هذه السيادة لا تتأتى للإنسان في وضعها الصحيح إلَّا بتحقيق العبوديَّة لله (فماذا لم يحقق الإنسان عبوديته لله فإنَّه يضيع سيادته في الأرض؛ لأنَّه إذا لم يحقق الإنسان عبوديته لله وحده، فإنه سيسقط بالضرورة في عبوديته لغير الله ومن ثُمَّ يفقد سيادته على هذا الغير، وإذا لم يحقق الإنسان سيادته في الأرض، فإنَّه بالتالي يصعب عليه أن يكون عبدًا لله –عزَّ وجَلَّ– وحده، والمثل الواضح على هذا هو الوثني الذي يتوسل إلى الله بأحياء أو أشياء مادية، فإنَّ هذا التوسل أو التزلف بها إلى الله هو المانع الأول والحقيقي لسيادة الإنسان عليها ما دام يعتقد أنها أفضل منه وأقرب إلى الله –عز وجل– فكيف يُمكن أن يسخرها لنفسه؟ وهذا التوسل شرك بالله –عز وجل–، ومن ثمَّ فالشرك أو الكفر فقد للسيادة، وفقد للعبوديَّة، والتوحيد تحقيق للسيادة، وتحقيق للعبوديَّة؛ لأنّ معنى إفراد الله بالعبادة استعلاء الموحد على كل ما سوى الإنسان في الأرض، وهذا معنى السيادة)(١٩).

وبهذا تتضح أهميَّة الاستخلاف، وأنّه هدف مهم من أهداف تميز الأمّة الإسلاميَّة يقترن بهدف تحقيق العبوديَّة، وأن [استخلاف الإنسان في الأرض من أهم الأصول الاعتقادية للحضارة الإسلاميَّة، فإذا كان التوحيد الإسلامي هو إفراد الله بالألوهية والربوبيَّة، فإنَّ الاستخلاف هو التطبيق العملي للتوحيد الإسلامي على جميع المستويات المختلفة للفعل الإنساني: الفردية والاجتماعية والتاريخية، بل وعلى مستوى الإنسان كنوع من أنواع الخلق. . . لذلك، فالاستخلاف هو الجانب الإنساني للتوحيد الإسلامي، ومن ثمَّ اختلفت –بالضرورة– الحضارة الإسلاميَّة – بمقتضى هذا الأصل– عن سائر الحضارات المخالفة لها، وبخاصة الحضارة الغربية المعاصرة التي تقف عقيديًا وتشريعيًا على النقيض من الحضارة الإسلاميَّة، التي تعتبر بحق هي الحضارة الإنسانية الصحيحة الحقَّة اللائقة بالإنسان (بوصفه إنسانًا)(٢٠).

المطلب الرابع: قيود الاستخلاف:

ولا جدال في أن الله أوجب على البشر حين أسكنهم الأرض أن يطيعوا أمره وأن ينتهوا بنهيه، وأنه عهد إليهم ألا يعبدوا إلا إياه، وألا يخشوا غيره، وأن يتحلوا بالتقوى، وأن يحذروا فتنة الشيطان، وأعلمهم من اتبع هدى الله فقد اهتدى، ومن كفر بآيات الله وكذب برسله فقد ضل وغوى، وأنه جعل للمهتدين الأمن، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وجعل للكافرين المكذبين النار هم فيها خالدون[٢١]، قال تعالى " قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ"[٢٢]

وقال تعالى: "قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ، قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ، يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ، يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ، وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ، قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ، فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ" [٢٣]

وغدًا يحاسب الله البشر على زيفهم وضلالهم، وعلى تركهم طاعة الله واتباعهم الشيطان، ويسألهم فلا يجدوا لأنفسهم حُجَّةً. ثم يقذف بهم أفواجًا إلى النار يَصْلَوْنَ حَرَّهَا جزاء ما عصوا الله وكفروا بآياته ولم يقوموا بعهده, قال تعالى: " أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لاَ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ، وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ، وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلاًّ كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ، اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ"[٢٤]

المبحث الثاني: مفهوم العمران وعناية الإسلام بعمارة الأرض

المطلب الأول: مفهوم العمران لغة اصطلاحا ومفهومه في القرآن الكريم

أولاً: مفهوم العمران لغةً واصطلاحاً

العُمْرَانُ في اللغة: نقيض الخراب، وما يُعَمَّرُ به البلد ويُحسَّن حالُه بوساطة الفلاحة والصناعة والتجارة وكثرة الأهالي ونُجح الأعمال والتمدُّن، وحَضَارَةٌ وَعُمْرَانٌ: أي حَرَكَةٌ وَأَعْمَالٌ وَتَشْيِيدٌ وَتَمَدُّنٌ، قال أحمد بن فارس: "وَمِنَ الْبَابِ عِمَارَةُ الْأَرْضِ، يُقَالُ عَمَّرَ النَّاسُ الْأَرْضَ عِمَارَةً، وَهُمْ يَعْمُرُونَهَا، وَهِيَ عَامِرَةٌ مَعْمُورَةٌ. وَقَوْلُهُمْ: عَامِرَةٌ، مَحْمُولٌ عَلَى عَمَرَتِ الْأَرْضُ، وَالْمَعْمُورَةُ مَنْ عُمِرَتْ. وَالِاسْمُ وَالْمَصْدَرُ الْعُمْرَانُ: وَاسْتَعْمَرَ اللَّهُ – تَعَالَى – النَّاسَ فِي الْأَرْضِ لِيُعَمِّرُوهَا.[٢٥].

فالعمران هو مصدر من عَمَرَ الأرض يعمُرُها عِمَارةً وعُمْرَانًا، والألف والنون في العربية تفيد المبالغة، أي عمارة جيدة وكبيرة، وحين توجد عمارة جيدة ممتازة إما لسعتها أو ضخامتها أو غير ذلك تكون عمرانًا، وكل الإنشاءات المعنوية والحسية التي يقوم بها الإنسان فيعبد بها الله تعالى ويقوم بوظيفة الخلافة كل ذلك عمران، وليس كل ما أنتجه البشر من إنشاءات مادية ومعنوية عمران إلا إذا كان على أسس القرآن، لأن العمران ضد الخراب، وأول ما قاله الراغب الأصفهاني في المفردات: "العِمَارَةُ: نقيض الخراب: يقال: عَمَرَ أرضَهُ: يَعْمُرُهَا عِمَارَةً. قال تعالى: "وَعِمارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ"[٢٦]، يقال: عَمَّرْتُهُ فَعَمَرَ فهو مَعْمُورٌ. قال: "وَعَمَرُوها أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوها"[٢٧]، "وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ"[٢٨] ، وأَعْمَرْتُهُ الأرض واسْتَعْمَرْتُهُ: إذا فوّضت إليه العِمَارَةُ، قال: "وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيها"[٢٩] والْعَمْرُ و الْعُمُرُ: اسم لمدّة عمارة البدن بالحياة، فهو دون البقاء، فإذا قيل: طال عُمُرُهُ، فمعناه: عِمَارَةُ بدنِهِ بروحه، وإذا قيل: بقاؤه فليس يقتضي ذلك، فإنّ البقاء ضدّ الفناء، ولفضل البقاء على العمر وصف الله به، وقلّما وصف بالعمر، والتَّعْمِيرُ: إعطاء العمر بالفعل، أو بالقول على سبيل الدّعاء[٣٠].

فكل ما فيه تدمير للبشرية بشكل من الأشكال سواء على مستوى الأفكار أو على مستوى الإنشاءات المادية لا يمكن أن يسمى عمرانًا، وكذلك إذا كان في الظاهر يفيد الإنسان؛ لكن لم يُقصد به ذلك، وإنما جاء عرَضًا لمقصد آخر لا يعتبر عمرانًا، كفعل الكافر إذا لم يكن له إيمان،

فقد يريد الآخرة ويسعى لها سعيها لكنه ليس مؤمنًا، فلا فائدة حينئذ، قال الله تعالى: "أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ"(٣١) فارتباط العمران بالقرآن؛ ارتباط السبب بالمسبب، لأن الذي ينشئ العمران هو القرآن، إذ العُمران مرتبط بالوظيفة الأصلية لآدم عليه السلام وبنيه، التي هي الخلافة والتي حددت في عبادة الله وحده.

ولفظ (العُمْرَان) لم يرد في القرآن الكريم، وإنَّما ورد فيه ما يفيد الإعمار والتَّعمير بألفاظ مثل: "وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا"(٣٢) ، "وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا"(٣٣) ؛ أي: الأرض، "وَعِمارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ"(٣٤) ، وكلها تفيد العُمْرَان، وتعمير الإنسان لمنطقة معيَّنة بقصد العيش وعبادة الله تعالى.

أما العمران في الاصطلاح فقد اقترحه المفكِّر العلامة ابن خلدون في مقدّمته؛ للدّلالة على نمط الحياة بوجه عام، جاعِلاً إيَّاه أحد الخواصّ التي تميَّز بها الإنسان عن سائر الحيوانات، فالعُمْرَانُ عند ابن خلدون هو ما يسمى الآن (علم الاجتماع) يعني عمران الأرض باجتماع الناس بعضهم إلى بعض ووجود روابط تربطهم وقوانين تنظم حياتهم فقال: "العُمران وهو: التَّساكُن والتَّنازُل في مصر أو حلَّةٍ للأنس بالعشير، واقتِضاء الحاجات لما فيه من طباعِهِم من التعاون على المعاش(٣٥) ، وقدِ استلهمه ابن خلدون من قوله تعالى: "هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا"(٣٦) والعُمران عند ابن خلدون نوعان: "ومن هذا العمران ما يكون بدويّا وهو الّذي يكون في الضّواحي وفي الجبال وفي الحلل المنتجعة في القفار وأطراف الرّمال، ومنه ما يكون حضريّا وهو الّذي بالأمصار والقرى والمدن والمدر للاعتصام بها والتّحصّن بجدرانها(٣٧)

ثانياً: مفهوم العُمران في القرآن الكريم

لقد جاء في أكثر من أية تعزيز القيام بالعُمران وعمارة الأرض، كقول الله تعالى: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً"(٣٨) ، وقد قال البيضاوي في تفسير هذه الآية: "والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه، والهاء فيه للمبالغة، والمراد به آدم عليه الصلاة والسلام، لأنه كان خليفة الله في أرضه، وكذلك كل نبي استخلفه الله في عمارة الأرض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ أمره فيهم"(٣٩)، وقال ابن عاشور مؤكداً معنى العمارة: "فَالْخَلِيفَةُ آدَمُ وَخَلَفِيَّتُهُ قِيَامُهُ بِتَنْفِيذِ مُرَادِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ تَعْمِيرِ الْأَرْضِ بِالْإِلْهَامِ أَوْ بِالْوَحْيِ وَتَلْقِينِ ذُرِّيَّتِهِ مُرَادَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ هَذَا الْعَالَمِ الْأَرْضِيِّ"(٤٠).

وقال الله تعالى: "هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا"(٤١) ، قال الطبري مؤكداً على معنى العمارة في الآية: "وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا" يقول: "وجعلكم عُمَّارًا فيها، فكان المعنى فيه: أسكنكم فيها أيام حياتكم"(٤٢).

وقال البيضاوي:" "وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا" عمركم فيها واستبقاكم من العمر، أو أقدركم على عمارتها وأمركم بها، وقيل هو من العمري بمعنى أعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام أعماركم، أو جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم"(٤٣).

وفي هذه الآية المركزية في نشوء مفهوم العُمران "هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا"(٤٤) نتبين ثلاثة مكونات أساسية:

فعل العُمران (أو الاستعمار).

المقصود بهذا الفعل الإنسان (بصيغة الجمع).

فضاء هذا الفعل (الأرض بما تحويه وما يعلوها)(٤٥).

ولقد حث النبي صلى الله عليه وسلم أبلغ الحث على بذل الجهد واستفراغ الوسع في إعمار الأرض حتى في أحلك الظروف، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ"(٤٦).

فأسُس العُمران البشري والحضاري في القُرآن الكريم هي: الإنسان، والمكان (الأرض)، والرِّسالة السماوية، ونقرأ ذلك في دعاء نبي الله إبراهيم – عليْه السَّلام – لمَّا قال: "رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ"(٤٧) ، حيثُ أسكنَ إبراهيمُ عليْه السَّلام أهلَه وابنَه إسماعيل بوادي بجوار الكعبة، وذلك بوحي من الله تعالى، ثمَّ دعا ربَّه أن يهيِّئَ لذريَّته ما يعينهم على القيام بعبادة الله تعالى، من أمْنٍ بجوار البيت الحرام، وتعارُف ومحبَّة بينهم وبين الوافِدين عليْهم مستقبلاً، وأن يرزُقَهم من الثمرات ما يحقق حاجتهم من الطعام والعيش الكريم، وبذلك وضع إبراهيم عليه السلام الأسُس المادِّيَّة والروحيَّة

للعمران البشري، وكأني به عليْه الصَّلاة السَّلام يضع تخطيطًا مستقبليًّا لعُمران أمَّة مسلمة ذات رسالة حضاريَّة متميّزة[٤٨]، والعُمران الحضاري مقصد عام من مقاصد استخلاف الإنسان في الأرض، فقد استخلف الله الإنسان في الأرض واستعْمره فيها؛ لغاية كبرى هي تحقيق العبودية لله تعالى، بمفهومها الشَّامل وفْق ما أمر وشرع، وإقامة العدْل والإصْلاح في الأرْض، وهو مقتضى قوله تعالى: "هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ"[٤٩], ومعنى (وَاسْتَعْمَرَكُمْ) في الآية: أي جعلكم عمَّارها، أو طلب منكم أن تعمروها، بصيغة الجمع مما يلفت الانتباه إلى علاقة الإنسان بمن يقوم معه بمهمة الاستعمار، وهي كقوله تعالى: "ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ"[٥٠] ، قال محمد رشيد رضا: "وَقَدْ عَلَّلَ هَذَا الِاسْتِخْلَافَ عِنْدَ الْإِخْبَارِ الْأَوَّلِ بِهِ هُنَا بِقَوْلِهِ: "لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ" أَيْ لِنَرَى وَنُشَاهِدَ أَيَّ عَمَلٍ تَعْمَلُونَ فِي خِلَافَتِكُمْ، فَنُجَازِيَكُمْ بِهِ بِمُقْتَضَى سُنَّتِنَا فِيمَنْ قَبْلَكُمْ، فَإِنَّ هَذِهِ الْخِلَافَةَ إِنَّمَا جَعَلَهَا لَكُمْ لِإِقَامَةِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ فِي الْأَرْضِ وَتَطْهِيرِهَا مِنْ رِجْسِ الشِّرْكِ وَالْفِسْقِ، لَا لِمُجَرَّدِ التَّمَتُّعِ بِلَذَّةِ الْمُلْكِ"[٥١].

ولكي نقوم بالعمران الحقيقي في الأرض؛ لا بدّ من بيان المفاهيم المتعاضدة لمفهوم العمران وتحقيقها وفق ما جاء في القرآن، فالعُمران "بالمفهوم القرآني لا يمكن أن يُفهَم في أبعاده المختلفة والمتعاضدة في آن من دون فهم مفهوم الاستخلاف، وهذا المفهوم بدوره لا يعطينا كل دلالاته ولا تمتاز طبيعته من دون استحضار مفهوم التسخير، وهذان المفهومان (الاستخلافُ والتسخير) هما المفهومان المكونان للمفهوم الأعمّ ألا وهو (العمران) ولكن لا يمكن إدراكهما بمفهومُهما الأعمُّ من دون النظر إلى المفهوم المقابل مفهومِ (الفساد) وهذا باعتباره انحرافاً عن الأصل"[٥٢]

المطلب الثاني: مفهوم التسخير

التسخير في اللغة: الإذلال والقهر والانقياد[٥٣]

والتسخير من المقومات العامَّة للاستخلاف في الأرض، ,والله سبحانه وتعالى الذي خلق الكون هو الذي سخره للإنسان وسلط الإنسان عليه بما وهبه من عقل وإدراك وسمع وبصر, وهو بذلك قادر على تكييف نفسه واستثمار ما في الكون لمصلحته[٥٤], ويعني ذلك أن الله سخر ما في الكون من مخلوقات على نحو يتمشَّى مع استخلاف الإنسان في الأرض[٥٥]، وقد جاء هذا المعنى في كثير من النصوص القرآنية, قال تعالى: "وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"[٥٦]

ان هذا النسق العقائدي في صلة الانسان بالكون وحده رفعة وتسخيرا ينطوي على عناية الهية بالإنسان تتمثل في اعداده ليتعامل مع الكون بما يحقق وظيفة الخلافة التي خلق من أجلها, فوحدة الإنسان والكون من شأن الإيمان بها أن ينشئ في النفس الشعور بالقرابة من الكون والوفاق معه[٥٧]

ولقد كرَّم الله تعالى الإنسان بتسخير الكون له بلا أجر ولا ثمن، وتسخير ما فيها لمنفعته وتمكينه من دوره الذي خلقه من أجله، حيث سخّر له ما هو أكبر منه خلْقاً كالسماوات والأرضين، وأعظم منه جسماً كالأنعام، فقال الله تعالى: "أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ" [٥٨].

قال أبو السعود: "والمرادُ بالتَّسخير إمَّا جعلُ المسخَّرِ بحيثُ ينفعُ المسخَّرَ له، أعمُّ من أنْ يكونَ مُنقاداً له يتصرَّفُ فيه كيفَ يشاءُ ويستعملُه حسبما يريدُ كعامَّة ما في الأرضِ من الأشياءِ المسخَّرة للإنسانِ المستعملةِ له من الجمادِ والحيوانِ، أو لا يكون كذلك، بل يكونُ سبباً لحصولِ مرادِه من غير أن يكون له دخلٌ في استعمالِه، كجميعِ ما في السَّمواتِ من الأشياءِ التي نِيطتْ بها مصالحُ العبادِ معاشاً ومعاداً، وما جعلُه منقاداً للأمرِ مذللاً، على أنَّ معنى (لكُم) لأجلِكم، فإنَّ جميعَ ما في السمواتِ والأرض من الكائنات مسخر لله تعالى مستتبعةٌ لمنافعِ الخلقِ، وما يستعملُه الإنسانُ حسبما يشاءُ وإن كان مسخَّراً له بحسبِ الظَّاهرِ فهو في الحقيقةِ مسخَّرٌ لله تعالى"[٥٩].

وتسخير كلّ تلك المظاهر الكونية والمخلوقات لا يتوقف عند حدود الانتفاع المادي فحسب، بل يَلْمَحُ الإمام البقاعي غرضاً آخر له، فيقول: "الآيات في ذكر الكواكب والقمر والشمس إلى آيات ذكر التسخير لهن نحو قوله تعالى: "وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ..."[٦٠] " وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ"[٦١] " وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ

وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ "[٦٢] ...كل ذلك ليصرف تعالى خوف الخلق ورجاءهم عن الأفلاك والنجوم المسخرة إلى المسخِّر القاهِر فوق عباده الذي استوى على جميعها"[٦٣] .

قال تعالى: "وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا "[٦٤] قال الزمخشري: وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ولم تصلح أموالكم ومعايشكم الا به[٦٥], وأما الآلوسي فيقول: وفسر ما سألتموه بما من شأنه أن يسأل لاحتياج الناس اليه سواء سأل بالفعل أم لم يسأل فلا ينفي إيتاء ما لا حاجة اليه مما يخطر بالبال وجعلوا الاحتياج إلى الشيء سؤالا له بلسان الحال وهو من باب التمثيل[٦٦]

فكل ما في الكون مسخر للإنسان ومهيأ لتلبية حاجاته بمجرد إدراك ومعرفة القوانين التي تحكم هذا الكون وذلك ممكن لأن الله زود الإنسان بتلك المدارك التي يكتشف بها ظواهر الكون وخفاياه, وسعي الانسان لاكتشاف الكون واستثمار طاقاته كفيل بسد حاجاته ومتطلباته المتعددة قال تعالى" إنا كل شيء خلقناه بقدر "[٦٧]

فالتسخير يقود إلى مبدأ التوحيد الأعظم الذي هو ثمرة هذا الإعمار الواعي للكون، ولأنّه نعمة تذكِّر بالمنعِم سبحانه وتعالى.

وقد ذكر الله تعالى ما يتعلق بالليل والنهار في كتابه الكريم إما بصيغة التسخير، وإما بذكر الغاية من هذا التسخير، قال الله تعالى: "وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا"[٦٨].

قال ابن كثير: "يمتن تعالى على خلقه بآياته العظام، فمنها مخالفته بين الليل والنهار، ليسكنوا في الليل وينتشروا في النهار للمعايش والصناعات والأعمال والأسفار، وليعلموا عدد الأيام والجُمَع والشهور والأعوام، ويعرفوا مضيَّ الآجال المضروبة للديون والعبادات والمعاملات والإجارات وغير ذلك؛ ولهذا قال: "لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ" أي: في معايشكم وأسفاركم ونحو ذلك "وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ" فإنه لو كان الزمان كله نسقاً واحداً وأسلوباً متساوياً لما عرف شيء من ذلك"[٦٩].

ولا أعتقد أن هذا التسخير والتطويع الذي كثُر ذكره في آيات عديدة من القرآن الكريم؛ إلاّ شاحِذٌ رئيس لاكتشاف نواميس الكون ومعرفة مجالات التسخير فيه، وكيفية خدمة الإنسان بذلك، والعقل الذي يُخاطب بهذا الأمر الدقيق البالغ في تحديد مهامه الصالحة والإصلاحية يجب أن لا يضيِّع وقته في مجالات لا تفيد؛ بل ينبغي أن يتفتَّق فكره بالمخترعات والمكتشفات الحياتية التي تسهل عليه البناء، والحصول على الغذاء، وبلوغ السماء، وتوفير الرخاء، وقطع المفاوز والصحراء، وتيسير المصاعب وتقليل المخاوف والأعباء، وغيرها مما يشغل بني الإنسان ويرفِّهه في حياته.

وهكذا تقوم العلاقة بين الإنسان وتسخير الكون على التوافق والانسجام، وأي فكر أو حركة تجديد تهمِل هذا التسخير وتحذِّر منه بحجة ذمّ الدنيا والإقبال على الآخرة يجعل الأمة في حالة ارتكاس، ويضيع به المسلم دنياه وآخرته معاً، بل يكون بذلك متجاهلا لأوامر الله التي تحثه على الأخذ بأسباب القوة والاستخلاف وفق قوانينه في خلقه، مما يؤدي إلى تضييع أمانة الاستخلاف وعمارة الأرض وتسليمها إلى البغاة والمفسدين.

المطلب الثالث: عناية الإسلام بعمارة الأرض.

لقد عني الإسلام بعمارة الأرض ورعاية الكون عناية خاصة، فالله سبحانه وتعالى خلق الكون وهيأ فيه الظروف المثلى للحياة السعيدة المستقرة، ثم استخلف فيه الإنسان ليقوم بإعماره على الوجه الأكمل؛ قال الله تعالى: "هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا"[٧٠].

وعندما عرض القرآن الكريم قصة بدء الخليقة والنشأة الأولى أشار في سياق ذلك إلى أن أكبر مهدد لاستمرار الحياة الطبيعية على هذا الكوكب الوليد؛ إنما يأتي من سفك الدماء والإفساد في الأرض؛ فقال سبحانه وتعالى: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ"[٧١]؛ فالإفساد الذي هو ضد الإعمار أكبر خطر يتهدد الحياة، وهو البند الأول من المهددات التي استشعرها الملائكة الكرام أثناء الحوار عن الأرض وخليفتها، ومن ثَمَّ فقد حذر المولى جل جلاله أشد تحذير من هذه الماحقة المدمرة؛ وجرَّم إراقة الدماء

بغير حق أيما تجريم، وحرم الاعتداء على الممتلكات الخاصة أو على مالكيها، وفي سياق التشريع القانوني وضعت أشد عقوبة و أقساها في الإسلام ضد المفسدين في الأرض يقول الله تعالى: "إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ"(٧٢)

وهكذا جاء خلْقُ الإنسان في نهاية سلسلة خلق جميع الكائنات على سطح الأرض، وعِلَّة ذلك أن الله تعالى هيأ في الأرض نظامًا متكاملًا متوازنًا يعج بالحياة بكافة أنواعها حتى تكون في استعداد تام لاستقبال الملك المُتَوج من قِبلِ الله تعالى على كوكب الأرض... فحينما خلق الله تبارك وتعالى الأرض بارك فيها وقدَّر فيها أقواتها من أول ما خلقها وهيأ للناس أرزاقهم فيها كما قال سبحانه وتعالى: "وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ. وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ..."(٧٣) قوله: "خَلَقْنَاكُمْ" أي فِي أَصْلَاب آبَائِكُمْ ويعني بذلك آدم عليه السلام؛ وذكر بلفظ الجمع لأنه أبو البشر، "ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ" أي فِي بُطُون أُمَّهَاتكُمْ، يعني قبل أن يخلقهم خلَقَ لهم ما يكفيهم وجعل لهم فيها معايش، وعليهم هم أن ينظموا أنفسهم ويبحثوا في الزراعة والصناعة والتجارة والاقتصاد والعمران، حتى قال علماء المسلمين: كل ما يحتاج الناس لتعلمه لتنمو حياتهم وتتكامل يعتبر فرض كفاية عليهم أن يتعلموه، ومن ذلك العلوم الدنيوية؛ كالطب والهندسة والفيزياء والكيمياء والرياضيات والفلك واستخراج المعادن والزراعة والملاحة والفلاحة وعلوم الحاسوب والتكنولوجيا الحديثة والعلوم السياسية والعسكرية وغيرها، بل يجب عليهم أن يتقنوا هذه الأشياء حتى لا يحتاجوا إلى غيرهم ممن يبتزُّهم ويكتفوا بذلك اكتفاء ذاتياً، بحيث تتكامل معاني القوة والازدهار في الحياة الإسلامية.

ولقد اهتدى ابن خلدون إلى استنباط قواعد العُمران وأصول الاجتماع من التاريخ فصنف في ذلك مقدمة تاريخه المشهور: "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، هذا العلم الذي لم يزد عليه أحد بعده من علماء المسلمين حتى ولا تلاميذه كالمقريزي وابن الأزرق؛ فقد عرّفوا بفكر شيخهم لكنهم لم يضيفوا شيئاً يذكر على ما اكتشفه ابن خلدون.

والعمران عند ابن خلدون يقوم في حقيقة أمره على دعامتين متلازمتين:

١-دعامة اجتماعية سياسية تشمل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعضم.

٢-ودعامة اقتصادية تشمل ما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع.

فقد بيَّن غاية هذا العلم قائلاً: "حقيقة التّاريخ أنّه خبر عن الاجتماع الانسانيّ الّذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التّوحّش والتّأنّس والعصبيّات وأصناف التّغلّبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدّول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصّنائع وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الأحوال."(٧٤).

ويوضح ابن خلدون أن كل هذا يتطلَّب توافر الأمن حيث بدونه تعُمُّ الفوضى ويسود الاضطراب ويفسد العُمران فيقول: " ثمّ إنّ هذا الاجتماع إذا حصل للبشر كما قرّرناه وتمّ عمران العالم بهم فلا بدّ من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانيّة من العدوان والظّلم وليست السّلاح الّتي جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم كافية في دفع العدوان عنهم لأنّها موجودة لجميعهم فلا بدّ من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يكون من غيرهم لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم وإلهاماتهم فيكون ذلك الوازع واحداً منهم يكون له عليهم الغلبة والسّلطان واليد القاهرة حتّى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان وهذا هو معنى الملك"(٧٥).

وهكذا يربط بين جميع المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المهمة، ومنها الشريعة والرجال والمال والعمران والعدل والمساواة بطريقة دائرية مترابطة في شكل سلسلة.

إن عمارة الأرض من أعظم مقاصد الشريعة، قال الإمام ابن عاشور:" مِنْ أَكْبَرِ مَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ الِانْتِفَاعُ بِالثَّرْوَةِ الْعَامَّةِ بَيْنَ أَفْرَادِ الْأُمَّةِ عَلَى وُجُوهٍ جَامِعَةٍ بَيْنَ رَعْيِ الْمَنْفَعَةِ الْعَامَّةِ وَرَعْيِ الْوِجْدَانِ الْخَاصِّ، وَذَلِكَ بِمُرَاعَاةِ الْعَدْلِ مَعَ الَّذِي كَدَّ لِجَمْعِ الْمَالِ وَكَسْبِهِ، وَمُرَاعَاةِ الْإِحْسَانِ لِلَّذِي بَطَّأَ بِهِ جُهْدُهُ، وَهَذَا الْمَقْصِدُ مِنْ أَشْرَفِ الْمَقَاصِدِ التَّشْرِيعِيَّةِ."(٧٦).

وقال الشيخ علال الفاسي: "والمقصد العام للشريعة الإسلامية هو عمارة الأرض، وحفظ نظام التعايش فيها، واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها، وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة ومن صلاح في العقل وفي العمل وإصلاح في الأرض واستنباط لخيراتها وتدبير لمنافع الجميع"(٧٧).

إن الشريعة الإسلامية جاءت بنصوص عديدة تدعو إلى حماية المحيط الذي يعيش فيه الإنسان، باعتباره أحد أهم ركائز قيام الإنسان بعملية الاستخلاف والعمارة في الأرض، وهنا يتوجب الحديث عن مراعاة الوازع الديني في تحديد أهمية رعاية المحيط بخاصة، والبيئة بصفة عامة, فليس المطلوب في عملية الاستخلاف أن يكون الإنسان صالحاً في نفسه فقط؛ بل أن يشيع هذا الصلاح في محيطه وما هو مسخر له، وأن لا يعيث في الموجودات المسخرة له فسادًا وتخريباً، يقول العلامة ابن عاشور"أنبأنا الله تعالى بأن الفساد المحذر منه هو إفساد موجودات هذا العالم، وأنّ الذي أوجد فيه قانون بقائه لا يظن فعله ذلك عبثا"(٧٨) , فمن مقومات عمارة الأرض الحث على الزراعة والغرس والتشجير واحياء الأرض الموات وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) "من كانت له أرض فليزرعها فإن لم يزرعها فليزرعها أخاه"(٧٩), وقوله (صلى الله عليه وسلم)" إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها"(٨٠)

يقول الشيخ القرضاوي" :وهذا في رأيي تكريم للعمل لعمارة الدنيا في حد ذاته، وإن لم يكن وراءه منفعة للغارس، أو لغيره من بعده، فلا أمل لأحد في الانتفاع بغرس يغرس والساعة تقوم, وليس بعد هذا تحريض على الغرس والإنتاج ما دام في الحياة نفس يتردد،؛ فالإنسان قد خلق ليعبد الله، ثم ليعمل وليعمر الأرض، فليظل عابدًا عاملاً حتى تلفظ الدنيا آخر أنفاسها" (81).

من خلال ما تقدَّم يمكن القول إنَّ عمران الأرض إذا أريد له أن يستمرّ و يبقى لا بدَّ أن يقوم على اجتماع ركائز ثلاث، فلا يقوم بواحدة من دون الأخرى(٨٢) , وهذه العناصر هي:

١ _ الأُمّة الصالحة لعمارة الأرض والتي لديها الكمالات العلمية والعملية المؤهلة لعمارتها(٨٣).

٢ _ الجانب المادي أو ما يسمى بالمدنية، وتشمل الأرض والمال والبنون، فهم زينة الحياة(٨٤).

٣ _ الدين، وهو الموجّه المعنوي لخطوات الأُمّة نحو البناء، لأنَّه هو الروح المؤثرة في تحريك وتوجيه الإنسان والمادة(٨٥), فإذا كان معتقداً صحيحاً صحَّ العمران واستمرَّ ، وإن كان معتقدا محرّفا ومنحرفاً يكون العمران وبالا على أهله، كما هو حال الحضارات السابقة التي اندثرت بسبب فسادها وطغيان القائمين عليها, وهذا ما بينه قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ , إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ , الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ , وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ , وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ , الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ , فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ , فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ , إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ"(٨٦)

الخاتمة

١- ان هذا الاستخلاف هو تشريف لهذا الجنس البشري وتكريم له، فقد كرم الله هذا الجنس بأنواع التكريم.

٢- الاستخلاف يقتضي أن الإنسان خلق لحكمتين: إحداهما مختصة به وهي هذا الاستخلاف، فهي لهذا الجنس البشري وحده، لا يشركه فيها شيء من الخلائق، والحكمة الثانية مشتركة بين الإنس والجن وهي تحقيق العبادة لله.

٣- الاستخلاف يقتضي من الإنسان أن يمشي في مناكب الأرض وأن يسعى لاستخراج ما فيها من المنافع وأن يحرص على نفع الناس بها فإنه استخلف فيما في الأرض وأمر بأن ينفق منه في سبيل الله.

٤- تمكين الإنسان في الأرض وتذليل كل ما فيها له هو من باب الاستخلاف وهو مجرد وكالة وعرية وليس ملكا.

٥- لا بد أن يترك الإنسان بصماته في الأرض قبل موته، وأن يترك فيها آثارا حميدة فعمر الإنسان الحقيقي هو ما يخلفه وراءه من الآثار وما يتركه على ألسنة الناس من الثناء.

٦- الاستخلاف في الأرض يقتضي من الإنسان أن يتعرف إلى أهل زمانه، فينبغي للعاقل أن يكون عارفا بأهل زمانه، ويقتضي كذلك معرفة

ما يتجدد من اكتشاف نواميس الكون ومن العلوم التي تتجدد فتكون خادمة لهذه الحياة الدنيا،

٧- الاستخلاف في الأرض يقتضي من الإنسان كذلك الحرص على نفع الناس، فالناس عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله، وكذلك التطلع إلى أخبار المسلمين فمن لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم، وكذلك استشعاره لمسؤوليته عن الفقراء والمحتاجين وسعيه لتخفيف معاناة المستضعفين في الأرض بكل ما يملكه من الوسائل فكل ذلك من الاستخلاف في الأرض.

المصادر

القرآن الكريم

١- الأدب المفرد :محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط:١، ١٤١٩هـ.

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ), دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣- استخلاف الانسان في الارض: د.فاروق احمد دسوقي, دار الدعوة–مصر.

٤- الإسلام وأوضاعنا السياسية: عبد القادر عودة (ت: ١٣٧٣هـ), مؤسسة الرسالة – بيروت,١٤٠١هـ.

٥- الأمة الإسلامية كما يريدها القرآن العظيم: محمد الصادق عرجون, الدار السعودية– جدة, ١٩٨٤م.

٦- الإنسان دراسة في النوع والحضارة: محمد رياض, دار النهضة العربية– بيروت, ط:٢, ١٩٧٤م.

٧- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت٦٨٥ هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:١ ,١٤١٨هـ.

٨- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: محمد الطاهر ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية – تونس, ١٩٨٤م.

٩- التحرير والتنوير :محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ) ,دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧ م.

١٠- التفسير الأصفى: الفيض الكاشاني, مؤسسة الاعلمي– بيروت.

١١- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار):محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ), الهيئة المصرية العامة للكتاب,١٩٩٠ م.

١٢- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ), تحقيق: سامي بن محمد سلامة, دار طيبة للنشر والتوزيع, ط: ٢, ١٤٢٠هـ.

١٣-جامع البيان في تأويل القرآن : محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢٠هـ .

١٤- حركة التاريخ في القرآن الكريم: عامر الكفيشي, دار الهادي– بيروت, ط:١, ٢٠٠٣م.

١٥- خلافة الإنسان بين الوحي والعقل: د. عبد المجيد النجار, دار الغرب الاسلامي, ط:١, ١٩٨٧م.

١٦- الخلافة في الارض: احمد حسن فرحات, دار عمار-مصر, ط:١, ٢٠٠٤م.

١٧- دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه: إسحاق بن عبد الله السعدي, وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر, ط: ١، ١٤٣٤ هـ.

١٨- دعوة التوحيد (حقيقتها، الأدوار التي مرت بها، مشاهير دعاتها): د.محمد خليل هراس, دار الكتب العلمية- لبنان, ط:١, ١٩٨٦م.

١٩-ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، (ت:٨٠٨هـ)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط:٢، ١٤٠٨هـ.

٢٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي, (ت:١٢٧٠هـ), الناشر دار إحياء التراث العربي-بيروت.

٢١-السوق الإسلامية المشتركة: د. محمود محمد البابلي, دار الكتاب اللبناني- بيروت, ط:١, ١٩٧٥م.

٢٢-العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ), تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي, دار ومكتبة الهلال.

٢٣-القاموس المحيط, مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ), تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة, مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان, ط:٨, ١٤٢٦هـ.

٢٤-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ), دار الكتاب العربي – بيروت, ط: ٣ , ١٤٠٧ هـ.

٢٥-كيف نتعامل مع السنة النبوية: د. يوسف القرضاوي, دار الشروق -القاهرة, ط:٢, ١٤٢٣هـ.

٢٦-لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ) , دار صادر – بيروت ,ط:٣ , ١٤١٤ هـ.

٢٧-المال والحكم في الاسلام: عبدالقادر عودة(ت ١٣٧٣هـ), المختار الإسلامي – القاهرة, ط:٥, ١٣٩٧هـ.

٢٨-المسند الصحيح :مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ), تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي, دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٩-مسند الإمام أحمد بن حنبل، احمد ابن حنبل، (ت٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وغيره، مؤسسة الرسالة، ط:١ ، ١٤٢١هـ.

٣٠-معجم مقاييس اللغة: احمد ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

٣١- المفردات في غريب القرآن: الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني, تحقيق: صفوان عدنان الداودي، بيروت، دار القلم الدار

الشامية، ١٤١٢هـ.

٣٢- مقاصد الشريعة الإسلامية: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ), تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة., وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر, ١٤٢٥هـ.

٣٣- مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها: دار الغرب الإسلامي، علال الفاسي (ت ١٣٩٤هـ)، ط: ٥ ،١٩٩٣م.

٣٤- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) , تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي , دار الكتب العلمية – بيروت, ١٤١٥هـ.

المواقع الالكترونية

٣٥- التقوى والعمران الحضاري في القرآن: محمد البوزي بحث منشور في موقع الألوكة الالكترونية، تاريخ الإضافة: ٢٠٠٩/٦/٣٠ م – ١٤٣٠/٧/٧هـ، على الرابط التالي:http://www.alukah.net/publications_competitions/0/6447/

٣٦- القرآن والعمران قراءة في المفاهيم المؤسسة: يحيى رمضان ,بحث منشور في الملتقى الفكري للإبداع، تاريخ النشر: ٢٢-٠٨-٢٠٠٩، على الرابط التالي: http://www.almultaka.org/site.php?id=768&idC=1&idSC=1

الهوامش

(١) العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ), تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي, دار ومكتبة الهلال, ٢٦٧/٤, لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ) , دار صادر – بيروت ,ط:٣ , ١٤١٤ هـ, ٨٣/٩., القاموس المحيط, مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ), تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة, مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان,ط:٨, ١٤٢٦هـ,ص/٨٠٨,مادة:(خلف).

(٢) الخلافة في الارض: احمد حسن فرحات, دار عمار–مصر, ط:١, ٢٠٠٤م, ص/٢١, استخلاف الانسان في الارض: د.فاروق احمد دسوقي, دار الدعوة–مصر, ص/٦–٧.

(٣) المال والحكم في الاسلام: عبدالقادر عودة(ت ١٣٧٣هـ), المختار الإسلامي – القاهرة, ط:٥, ١٣٩٧هـ, ص/٢٨.

(٤) سورة فاطر:٣٩.

(٥) سورة البقرة:٣٠.

(٦) سورة الانعام:١٦٥.

(٧) الإسلام وأوضاعنا السياسية: عبد القادر عودة (ت: ١٣٧٣هـ), مؤسسة الرسالة – بيروت,١٤٠١هـ, ص/١٨–١٩ , المال والحكم في الاسلام: ص/٢٨, دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه: إسحاق بن عبد الله السعدي, وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر, ط: ١، ١٤٣٤ هـ, ٨٣٣/٢.

(٨) سورة هود: ٦١.

(٩) سورة البقرة:٣٠.

(١٠) سورة القصص: ٥.

(١١) سورة السجدة: ٢٤.

(١٢) سورة النور: ٥٥.

(١٣) سورة ص: ٢٦.

[١٤]سورة البقرة: ١٢٤.

[١٥] سورة الأنبياء: ٧٣.

[١٦] سورة المائدة: ٢٠.

[١٧] سورة البقرة: ٢٤٧.

[١٨] استخلاف الانسان في الارض: ص/١٨-١٩, خلافة الإنسان بين الوحي والعقل: د. عبد المجيد النجار, دار الغرب الاسلامي, ط:١, ١٩٨٧م, ص/٣١.

[١٩] استخلاف الانسان في الارض: ص/١٩, دعوة التوحيد (حقيقتها، الأدوار التي مرت بها، مشاهير دعاتها): د.محمد خليل هراس, دار الكتب العلمية- لبنان, ط:١, ١٩٨٦م, ص/٨٨-١٠٥ .

[٢٠] خلافة الانسان في الارض: ص/٦-٧, الأمة الإسلامية كما يريدها القرآن العظيم: محمد الصادق عرجون, الدار السعودية- جدة, ١٩٨٤, ص/ ٧-٨.

[٢١] الاسلام واوضاعنا السياسية: ص/١٦.

[٢٢] سورة البقرة: ٣٨- ٣٩.

[٢٣] سورة الأعراف: ٢٤ - ٣٠.

[٢٤] سورة يس: ٦٠ - ٦٤.

[٢٥] معجم مقاييس اللغة: احمد ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ، ١٤١/٤ج

[٢٦] سورة التوبة:١٩.

[٢٧] سورة الروم:٩.

[٢٨] سورة الطور:٤.

[٢٩] سورة هود:٦١.

[٣٠] المفردات في غريب القرآن: الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني, تحقيق: صفوان عدنان الداودي، بيروت، دار القلم الدار الشامية، ١٤١٢هـ، ص٥٨٦.

[٣١] سورة إبراهيم:١٨.

[٣٢] سورة هود:٦١.

[٣٣] سورة الروم:٩.

[٣٤] سورة التوبة:١٩.

[٣٥] ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، (ت:٨٠٨هـ)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط:٢، ١٤٠٨هـ، ، ص/٥٣.

[٣٦] سورة هود:٦.

[٣٧] مقدمة ابن خلدون: ص/٥٣.

[٣٨] سورة البقرة: ٢٩.

[٣٩] أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت٦٨٥ هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:١ ,١٤١٨هـ، ٦٨/١.

[٤٠] التحرير والتنوير :محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ) ,دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧ م، ١/ ٣٩٩.

[٤١] سورة هود:٦١.

[٤٢] جامع البيان في تأويل القرآن : محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢٠هـ ، ١٥/ ٣٦٨.

[٤٣] أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣/ ١٣٩.

[٤٤] سورة هود:٦١.

[٤٥] القرآن والعمران قراءة في المفاهيم المؤسسة: يحيى رمضان ,بحث منشور في الملتقى الفكري للإبداع، تاريخ النشر: ٢٢-٠٨-٢٠٠٩، على الرابط التالي: http://www.almultaka.org/site.php?id=768&idC=1&idSC=1

(٤٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل، احمد ابن حنبل، (ت٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وغيره، مؤسسة الرسالة، ط:١ ، ١٤٢١هـ، برقم: ١٢٩٨١، ٣/ ١٩١، الأدب المفرد :محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط:١، ١٤١٩هـ، باب استصناع المال، برقم: ٤٧٩، ج١، ص١٦٨

(٤٧) سورة إبراهيم:٣٧.

(٤٨) التقوى والعمران الحضاري في القرآن: محمد البوزي بحث منشور في موقع الألوكة الالكترونية، تاريخ الإضافة: ٢٠٠٩/٦/٣٠ م – ١٤٣٠/٧/٧هـ، على الرابط التالي:

/http://www.alukah.net/publications_competitions/0/6447

(٤٩) سورة هود: ٦١.

(٥٠) سورة يونس:١٤.

(٥١) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار):محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ), الهيئة المصرية العامة للكتاب,١٩٩٠ م, ٢٥٩/١١.

(٥٢) "القرآن والعمران قراءة في المفاهيم المؤسسة: مرجع سابق.

(٥٣) لسان العرب: ٣٥٤/٤, مادة: سخر.

(٥٤) المال والحكم في الاسلام: ص/٩, السوق الإسلامية المشتركة: د. محمود محمد البابلي, دار الكتاب اللبناني– بيروت, ط:١, ١٩٧٥م, ص/٤٠.

(٥٥) دراسات في تميز الامة الاسلامية: ٨٣٩/٢.

(٥٦) سورة الجاثية:١٣.

(٥٧) خلافة الانسان بين الوحي والعقل: ص/٥٩.

(٥٨) سورة لقمان:٢٠.

(٥٩) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ), دار إحياء التراث العربي – بيروت, ٧٣/٧-٧٤.

[٦٠] سورة الانعام:٩٧.

[٦١] سورة النحل:١٢.

[٦٢] سورة ابراهيم:٣٣.

[٦٣] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) , تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي , دار الكتب العلمية – بيروت, ١٤١٥هـ, ٥٣٣/٨.

[٦٤] سورة ابراهيم: ٣٤.

[٦٥] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ), دار الكتاب العربي – بيروت, ط: ٣ , ١٤٠٧ هـ, ٣٧٩/٢.

[٦٦] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي, (ت:١٢٧٠هـ), الناشر دار إحياء التراث العربي–بيروت, ٢٢٦/١٣.

[٦٧] سورة القمر: ٤٩.

[٦٨] سورة الاسراء:١٩.

[٦٩] تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ), تحقيق: سامي بن محمد سلامة, دار طيبة للنشر والتوزيع, ط: ٢, ١٤٢٠هـ, ٤٦/٥.

[٧٠] سورة هود: ٦١.

[٧١] سورة البقرة: ٣٠.

[٧٢] سورة المائدة: ٣٣.

[٧٣] سورة الأعراف:١٠-١١.

[٧٤] مقدمة ابن خلدون: ص/٤٦.

[٧٥] المصدر نفسه: ص/٥٦.

(٧٦) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: محمد الطاهر ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية – تونس, ١٩٨٤م، ٣/ ٤٥.

(٧٧) مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها: دار الغرب الإسلامي، علال الفاسي (ت ١٣٩٤هـ)، ط:١٩٩٣،٥م، ص/٤٥-٤٦.

(٧٨) مقاصد الشريعة الإسلامية: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ), تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة., وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر, ١٤٢٥هـ, ص/٢٠١.

(٧٩) المسند الصحيح :مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ), تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي, دار إحياء التراث العربي – بيروت, ١١٧٦/٣.

(٨٠) الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ), تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي, دار البشائر الإسلامية – بيروت, ط: ٣، ١٤٠٩هـ, ١٦٨/١.

(81)كيف نتعامل مع السنة النبوية: د. يوسف القرضاوي, دار الشروق –القاهرة, ط:٢, ١٤٢٣هـ, ص/١١٠.

(٨٢) حركة التاريخ في القرآن الكريم: عامر الكفيشي, دار الهادي– بيروت, ط:١, ٢٠٠٣م, ص/١٩٥.

(٨٣) التفسير الأصفى: الفيض الكاشاني, مؤسسة الاعلمي– بيروت, ٤٥٦/١.

(٨٤) حركة التاريخ في القرآن الكريم: ص/١٩٥.

(٨٥) الإنسان دراسة في النوع والحضارة: محمد رياض, دار النهضة العربية– بيروت, ط:٢, ١٩٧٤م, ص/١٧٥.

(٨٦) سورة الفجر: ٦-١٤.